مؤسسة صرح الخلافة

تقدم

تفريغًا لمحاضرة:

معركة جاجي

الجزء الأول

لشيخ المجاهدين أسامة بن محمد بن لادن

تقبله الله تعالى



ساعة

قبل الحرب الصليبية
على أفغانستان



بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة صرح الخلافة



تقدم

تفريغًا لمحاضرة

معركة جاجي (الجزء الأول)

لشيخ المجاهدين أسامة بن محمد بن لادن -تقبله الله تعالى-

والتي ألقاها قبل الحرب الصليبية على أفغانستان

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فحديثنا اليوم عن ملحمة كبرى من ملاحم الإسلام المعاصرة، حديثنا عن المعركة الفاصلة الحاسمة، التي حسمت القتال والصراع لحرب طويلة امتدت لبضع سنين على هذه الأرض الطاهرة المباركة (على أرض أفغانستان)، حديثنا عن معركة جاجي الشهيرة التي نصر الله سبحانه وتعالى فيها الحق وأهله فلله الحمد والمنة، حديثنا عن معركة جاجي التي دخلت إلى تاريخ معارك الإسلام العظمى وغزواته الكبرى، فقد من الله سبحانه وتعالى على المؤمنين مع نبينا عليه الصلاة والسلام بأفضل غزوة في تاريخ الإسلام، من عليهم بغزوة بدر الكبرى، وما أدراك ما بدر؟ تلك الغزوة التي قال فيها رسول الله ﷺ لعمر عندما أراد أن يضرب عنق حاطب بن أبي بلتعة -رضي الله عنهم أجمعين- قال: "وما يُدْرِيكَ؟ لَعَلَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ اطَّلَعَ علَى أهْلِ بَدْرٍ فَقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"[١]. يوم قل الواقفون بجوار راية التوحيد.

ومنَّ الله سبحانه وتعالى على المسلمين بمعارك كثيرة فاصلة حاسمة، كان من أبرزها معركة اليرموك ضد الروم بقيادة خالد بن الوليد -رضي الله عنه-، وكان من أبرزها معركة القادسية ضد الفرس، ونهاوند، وكذلك عين جالوت، وحطين من قبلها ضد النصارى الذين احتلوا بيت المقدس بقيادة صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، معارك عظمى فتح الله فيها على أهل الإسلام.

وفي هذا العصر الحديث كانت هذه المعركة خاتمة حرب طويلة فيها آلاف المعارك، بين أكبر قوة عرفتها البشرية في التاريخ المعاصر ما يسمى بـ(الاتحاد السوفييتي)، روسيا ومن معها حلف وارسو في الشرق، وكان في الغرب أمريكا ومن معها وكوَّنوا حلف الناتو.

[١] رواه البخاري.

فهذه المعركة حسمت تلك الحرب الطويلة التي بدأت في عام ١٣٩٩ للهجرة في أواخر القرن الماضي، الموافق لعام ١٩٧٩ للميلاد، أيضًا في أواخر القرن الماضي الميلادي، فكانت هذه المعركة -بفضل الله- فتحًا مبينا وكانت معجزة عظيمة، إذ تم التحدي لهذا العصر بقوته المادية الطاغية وفي زمن تطورت فيه الأسلحة تطورًا عظيمًا جدًا، في حين أن المسلمين لم يملكوا شيئًا يذكر من عتاد الحروب في هذه العصور المتأخرة؛ بعد أن انشغل الحكام ومن سار في فلكهم بملذات الحياة الدنيا، وقعدوا عن تطبيق شرع الله؛ وبالتالي كان نتيجة حتمية أن يعطل الجهاد في سبيل الله، بل يسجنوا كل من أراد أن يجاهد في سبيل الله.

كانت روسيا في ذلك الوقت، تمتلك عشرات الآلاف من القوات المدرعة من الدبابات الحديثة في ذلك العصر (قبل عشرين سنة من اليوم ونيف)، وتمتلك آلاف الطائرات الحديثة التي فاقت سرعة الصوت بثلاثة أضعاف، وتمتلك ملايين البشر المفرغين تحت السلاح، تآمرت هذه الدولة الكبرى مع حكومة أفغانستان في ذلك الوقت على نشر الشيوعية، ثم انقلبت عليها بواسطة عميلهم (باربرا كارلون)، ودخل ذلك الزحف المتوحش الأحمر إلى كابل، في أواخر سنة ١٩٧٩ وما ذكرت الذي كان الموافق ١٣٩٩ للهجرة.

هذا الحدث العظيم هز العالم بأسره، وأوقظ الرئيس الأمريكي من نومه، وحبست أنفاسها هذه الأنظمة في الدول العربية وفي العالم؛ لهذا التطور الخطير الذي كان يؤذن بزوال الدول الغربية وحلف الناتو ومن معه، حلف الناتو الذي يضم أمريكا وأوروبا وكثير من الدول، أنفق ٤٥٠ مليار دولار فقط للتحصينات وللأسلحة المضادة، تحسبًا للغزو الروسي على أوروبا بعد أن أخذت روسيا أوروبا الشرقية، وكانت تسحق الدول في خلال ساعات؛ كما حصل في رومانيا أو في المجر في الستينات، كل دولة كانت ترفض أن تنصاع للاتحاد السوفييتي، ترى ويرى حكامها وقياداتها أنفسهم تحت جنازير الدبابات الروسية، طائرات ضخمة، وأسراب جوية تحمل هذه المعدات وتحمل هؤلاء

الجنود، ويتم الإنزال على دول بأسرها فلا يصبح الناس إلا وقد أصبحت هذه الدول شيوعية، هذا العملاق الأحمر، هذا الدب الروسي المتوحش، فاجأ الناس في عام ١٣٩٩ للهجرة، ودخل إلى كابل بالطائرات وفي دبابات أيضا عبر ممرين من طاجيكستان ومن أوزبكستان وكذلك من تركمانستان، فأصبح الناس والعاصمة تحت احتلال الروسي الصليبي الأحمر الشيوعي، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

في تلك المرحلة لا بد أن نتحدث عن الأوضاع في شيء من التفصيل قبل دخول الروس إلى أفغانستان، ولماذا دخل الروس إلى أفغانستان؟ وهل أفغانستان كانت مطلوبة لذاتها أم كانت مطلوبة لذاتها ولغيرها؟ كانت تصارع الأقطار المتوحشة الدموية؛ تصارع الشرق والغرب، تصارع روسيا وأمريكا على افتراس الضحايا في العالم بأسره (في العالم الإسلامي وغير الإسلامي)، استطاعت روسيا أن تضم إليها كثيرًا من الدول في العالم، بما فيها دولاً إسلامية وعربية، فإذا نظرتم إلى الخريطة، تلاحظون التسابق الذي كان قائمًا بين القطبين في ذلك الوقت.



[يشرح الشيخ أسامة بالخريطة]

هذا الاتحاد السوفييتي بما فيها هذه المناطق الملونة، وهذا كله يمثل الاتحاد السوفييتي، هذا العملاق الضخم الهائل الذي هذه المناطق تابعة له أيضا مناطق أذربيجان والشيشان وما حولها، وهذه تركمانستان وأوزبكستان وطاجيكستان وقرغيزستان، هذا كله تابع للاتحاد السوفييتي.

هذا العملاق فاجأ الناس بالدخول على هذه الدولة الضعيفة الصغيرة، في عددها وعتادها وسكانها وإمكانياتها بالتواصل مع حكومة أفغانستان في عام ١٣٩٩ للهجرة، فشتان بين هذه الدولة الصغيرة وبين هذا العملاق المارد الدب الروسي الأحمر، فما كان يظن الناس بحال أن هذه الدولة الصغيرة ستستطيع لا أن تهزم الولايات الروسية، ولا أن تهزم الاتحاد السوفييتي، بل أصبح بفضل الله سبحانه وتعالى أثرًا بعد عين، فلله الفضل والمنة باعتمادهم على الله سبحانه وتعالى، فهذا الاتحاد السوفييتي كان قد ضم إليه العراق، فدخل العراق واتخذ الاشتراكية المتفرعة عن الشيوعية الروسية عقيدة ومذهبًا، وقام حزب البعث العراقي يدعو أبناء المسلمين ويسعى إلى تكفيرهم وتعليمهم بالبعث، واتخذ البعث إلهًا يُعبد من دون الله سبحانه وتعالى.

وهذه سوريا أيضًا سارت في فلك الاتحاد السوفييتي، وأيضًا اتخذوا الاشتراكية منهجًا، وكان شعارهم في جميع الدوائر وفي المنتديات وفي المدارس (وحدة، حرية، اشتراكية)؛ وهو الكفر البواح، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكذلك في اليمن الجنوبي، دخلت الشيوعية الحمراء، وأصبحت اليمن تسير في فلك الشيوعية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم تقدمت روسيا والاتحاد السوفييتي، وأخذت الصومال وسار في فلك الشيوعية أيام الهالك (سياد بري)، وعندما أراد أن يطبق الشيوعية –هذه المبادئ الهدامة–، قام في وجهه عشرة من العلماء أبوا أن يعطوا الدنية في دينهم وأبوا أن يهادنوا في دينهم من أجل لقيمات أو دراهم معدودة، فرفضوا المذهب الشيوعي، والذي أراد (سياد بري) أن يفرضه على الناس؛ فما كان منه –عليه من الله ما يستحق– إلا أن جمع هؤلاء العلماء

الكرام في ساحات مقديشو وصب عليهم الوقود وأحرقهم أمام الناس، عليهم رحمة الله وجزاهم الله خير ما جزى علماء عن أمتهم في نصرة دينه.

ثم دخلت أريتريا المسلمة تحت ما يسمى (الجبهة الشعبية) تحت الشيوعية وسارت في الفلك الشيوعي.

واستمر الزحف الشيوعي عبر الاتحاد السوفييتي ولا رادَّ لزحفه ولا قوة تستطيع أن توقفه، وكان هم أوروبا وأمريكا في باقي الزحف من جهة أوروبا الشرقية بعد أن أخذ هذه المناطق من أوروبا الشرقية، كان همهم فقط أن يوقف زحف الروس على باقي أوروبا الغربية، وكان قد وصل إلى ألمانيا، وأخذ كما تعلمون منذ الحرب العالمية (ألمانيا قسمت إلى قسمين: ألمانيا الشرقية وألمانيا)، فالشرقية كانت مع الاتحاد السوفييتي، فهو وصل إلى أعماق أوروبا بولندا وبلغاريا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا والمجر، هذا كله كان عند دول أوروبا مع الاتحاد السوفييتي، وكانت القيادات الغربية تموت خوفًا وهلعًا من الاتحاد السوفييتي؛ بما فيهم أمريكا.

ثم كانت الفاجعة للدول الغربية (أوروبا وأمريكا)، أن الحبشة التي هي على دين النصارى منذ بضعة عشر قرنًا وهي تسير في فلكهم، إلا من فترات محدودة كان المسلمون يأخذونها تحت الحكم الإسلامي -وإن كان الأكثرية في الحبشة من المسلمين- إلا أنها بقيت تحت حكم النصارى وكان من آخر قادتها الإمبراطور (هيلا سيلاسي) ، فاستطاعت روسيا واستطاع الاتحاد السوفيتي أن يقوم بعملية انقلابية عبر حزب شيوعي من أبناء الحبشة الذين درسوا في الاتحاد السوفييتي؛ فعلموا الشيوعية وعلموا الكفر، فرجع (منغستو) إلى الحبشة وأخذ الحبشة، وسارت هذه الدولة الكبيرة -وهي من الدول الكبرى في إفريقية- في الفلك الشيوعي أيضًا، فهذا الزحف بقي مستمرا إلى أواسط إفريقية وفي أمريكا اللاتينية، بل استطاعت روسيا أن تأخذ كوبا، (كاسترو) الشيوعي سار في الفلك الروسي، وتبعد كوبا عن سواحل ميامي في الولايات المتحدة الأمريكية أقل من مئة ميل عن سواحل الولايات المتحدة.

ففي خضم هذه الأوضاع المتوترة، والتسابق والتنافس على افتراس الشعوب المستضعفة، وعلى أخذ خيراتها وقتل أبنائها الصادقين وإن لم يكونوا من المسلمين، حتى في الدول الغير الإسلامية، أي قوة وطنية تريد أن تعيش بعيدًا عن استنزاف القوة العظمى كانت تسحق وتقتل، ففي خضم هذا التنافس في الأسلحة النووية وغيرها من الأسلحة غير التقليدية وفي الأسلحة التقليدية، إذا صنع هؤلاء طائرة أسرع من الصوت؛ صنع أولئك مثلها، وذهبت مليارات الدولارات في هذا التسابق، فكر (بريجنيف) رئيس الاتحاد السوفييتي في حينه أن يوجه الضربة القاضية لأوروبا وأمريكا، فأوروبا في الجملة كثير من دولها ليس فيها بقدر هذا الكأس في أرضها بترول، بل تعيش على بترول الخليج وبترول بعض الدول الأخرى، فكان الترتيب أن يأخذ الخليج، وهو حلم يساور قياصرة موسكو منذ قرون، أن تكون لهم قدم على المياه الدافئة، حتى من قبل اكتشاف البترول، فإن القياصرة في روسيا مياههم التي يتحركون فيها في الشمال لا يستطيعون الحركة فيها إلا لمدة شهرين، وبعد ذلك يأتي الشتاء وتتجمد هذه البحار، فحلم استراتيجي لروسيا أن تأخذ موضع قدم على المياه الدافئة في الخليج، ولكن بعد هذا التنافس بين الشرق والغرب وبعد دخول البترول قرر (بريجنيف) أن يوجه الضربة القاضية لأوروبا وأمريكا بأخذ دول الخليج وأخذ بترول الخليج؛ فمن هنا كان الغزو لأفغانستان.

فأفغانستان كانت مطلوبة لغيرها بالدرجة الأولى، ثم لمكانتها، أفغانستان كانت هي الممر والمعبر من الجمهوريات الإسلامية التي كانت تحت الاحتلال السوفييتي ليدخلوا إلى أفغانستان ومنها إلى الخليج، وأخذ الخليج بالكامل وقتل وسحق أمراء هذه الدويلات الصغيرة في الخليج؛ ابتداءً من الكويت إلى عمان، فكانت أمريكا ليس لها في المنطقة العربية في ذلك الوقت إلا دول الخليج، حتى مصر كانت في وقت قبل ذلك أيام عبد الناصر مع الاتحاد السوفييتي، وطلع مفتي الأزهر يقول: (إن الاشتراكية من الإسلام)، ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ نتيجة ضغط عبد الناصر عليه، وجعفر النميري في السودان أيضًا ذهب في سياق الاشتراكية، فيكاد أن يكون العالم العربي في الجملة مع الاتحاد السوفييتي.

فلما حصل الغزو على أفغانستان، العارفون بالسياسة وبفقه الواقع علموا مباشرة أن المراد بترول الخليج وليس هذه الصحاري القفراء، وليس هذه الجبال الجرداء، لذلك في عام ١٩٨٠ -كان ما زال يوافق ١٣٩٩ الهجرة- في العشرين من يناير، وقف الرئيس الأمريكي (كارتر) يتكلم بكل وضوح، وإن كان على خوف وعلى وجل، فليس عندهم في المنطقة ما يعينهم على دفع الروس، قواعدهم في المنطقة موجودة منذ القدم ولكنها كانت صغيرة، وكان الذي يعتمدون عليه في شاطئ الخليج شاه إيران، كانت قد جاءت الثورة الإيرانية وعصفت به وتخلوا عن شاه إيران، حتى لم يعطوه لجوءًا سياسيًا وتخلوا عن جميع عملائهم في إيران، فكان السيف والموس من نصيب عملاء أمريكا.

فالذين يعتمدون اليوم على أمريكا في الخليج للدفاع عنهم كالمستجير من الرمضاء بالنار، لا عقلا ولا دينا، فدينًا هذا لا يجوز بحال من الأحوال، بل باعوا البلاد وتواضعوا مع أعداء الإسلام وظاهروا الكفار، وهذا كفر أكبر مخرج من الملة، ولكن عقلاً أيضا هذا لا يستقيم، فاليهود والنصارى من أعدى أعداء هذه الأمة، ما جاؤوا إلا لاستنزاف خيراتها وثرواتها والعبث بأهلها ومعتقداتهم وأفكارهم، وبإذن الله سيخرجون من الخليج تحت ضربات المجاهدين، نسأله سبحانه وتعالى أن يفتح على إخواننا فتحًا عظيمًا، فمن هنا كان الغزو لأفغانستان.

مررت في عام ١٤٠٦ الموافق لعام ٨٦ للميلاد، هذه بوده، مررت من بوده إلى خليج عمان ولأطراف المحيط الهندي؛ ما مررت على مدينة ولا على قرية منذ أن خرجت من بوده في بلوشستان إلى خليج عمان، إلا وللأسف الشديد الرايات الحمراء الشيوعية من حزب الشيوعي البلوشي المدعوم من موسكو هي المسيطرة على أكثر هذه القرى وعلى أكثر هذه المنطقة، تربت، وبليدة وشكاربور، وجوادر إلى أن وصلت خليج عمان هم المسيطرون، وكانت صور (كارل ماركس ولينين وستالين) توضع في صدور مجالس شيوخ القبائل هناك، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وكان الحزب البلوشي يسوق الناس سوقًا في ٢٧ ديسمبر من كل عام، وهو اليوم الذي دخل فيه الروس إلى

أفغانستان يحتفلون احتفالات هائلة عظيمة ينتظرون قدوم الروس إليهم، ليرحبوا بهم، فلم يكن هنا مقاوم، فكان هنا ترحيب للقوات الروسية إلى الدخول، فلم يكن بين أخذ الخليج وسحق أمراء الخليج وأخذ ثرواتهم كثير ولا قليل، لولا أن الله سلم ومنَّ على أهل الإسلام في أفغانستان أن يصدوا أكبر هجمة عرفتها البشرية في العصور المتأخرة ضد أهل الإسلام، فجزاهم الله خيرا إذ قدموا ما قدموا من الرجال ومن التضحيات ومن الإعاقات، ثم لما تدمرت بلادهم ويُتِّم أطفالهم ورُمِّلت نساؤهم وحُطمت بيوتهم وقراهم وانهزم الاتحاد السوفييتي، قلب لهم حكام الخليج ظهر المِجَنِّ، وها هي أفغانستان كما ترونها مدمرة لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا، عليهم من الله ما يستحقون.

فهذه الظروف والأوضاع وفقه الواقع الذي كان بين يدي الغزو الروسي لأفغانستان، فكانت محاولة لاقتحام العالم الإسلامي والوصول إلى جزيرة العرب حيث مهبط الوحي، ولكن الله سبحانه وتعالى دفع عن الأمة بهؤلاء الرجال، نرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل من قتل منهم شهيدًا وأن يخفف عن جرحاهم ويلطف بأراملهم وأيتامهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كان الحزب الشيوعي في أفغانستان قد بدأ يظهر ويدعو الناس إلى الكفر البواح؛ فتصدى له بعض العلماء وبعض الشباب، وظهر أمرهم منذ عام ١٣٩٥هـ، ولكن بإمكانيات متواضعة جدًا؛ لدرجة أنهم استأجروا غرفة لإدارة عملهم ولاجتماعاتهم، فلم يستطيعوا أن يسددوا قيمتها لأكثر من شهر واحد، مما اضطرهم إلى ترك هذه الغرفة لاجتماعاتهم، ومنّ الله سبحانه وتعالى على بعض قيادات الجهاد في ذلك الوقت، بأن رفعوا هذه الراية، ولا بد من الإنصاف، ولا بد من إعطاء الناس حقوقهم، وإن زلوا في وقت من الأوقات بعد ذلك، فكان لبعضهم جهود عظيمة، ثم بعد ذلك بعد أن خرج الروس، للأسف اختلفوا، والخلاف شر، وكما ذكرت لكم مرارًا، لا يمكن أن يقوم الدين مع الاختلاف، قد تستطيع أن تدفع عدوك، لكن لا يمكن أن يقوم الدين مع الاختلاف، فإنه كما قال عليه الصلاة والسلام: "مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيْدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ

رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ"[٢]. فالإسلام والاجتماع والجماعة شيء واحد، متى غاب أحدهم غاب الآخر، كما قال عليه الصلاة والسلام: "وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالْجِهَادُ، وَالْهِجْرَةُ، وَالْجَمَاعَةُ"[٣].

وكان الشيخ يونس بفضل الله سبحانه وتعالى عصمه الله من هذه الخلافات ومن هذه الفرقة، ونفع الله به، فلما اعتزلنا أهل الخلاف وذهبنا إلى السودان، ثم أخرجنا من السودان في أول يوم من عام ١٤١٧ الهجرة، وهو أول يوم يوافق أيضًا أن الرسول عليه الصلاة والسلام دخل الشعبة (شعبة أبي طالب) في أول يوم من السنة السابعة للبعثة ومكث ثلاث سنوات عليه الصلاة والسلام في الشِعب.

فأقول لما خرجنا من السودان، جئنا عند الشيخ يونس، ونزلنا عنده تجنبًا للخلاف والفرقة التي كانت بين الأحزاب في ذلك الوقت، وقد من الله سبحانه وتعالى على المؤمنين بأن اجتمعوا حول رجل لم يكن معروفًا عند عامة الناس في أفغانستان ولا في الخارج؛ ولكن لبركة الاجتماع وبركة الجماعة فتح الله عليهم وأخذوا أكثر أفغانستان، أكثر من ٩٥% من أفغانستان، فلله الفضل والمنة.

كان الناس يقتلون المجاهدين، نتيجة الإعلام الكاذب وفتاوى السلاطين التي كانت تقول للناس: (إن هؤلاء خوارج قد خرجوا على الإمام)؛ والإمام قد كان كافرًا بالله ورسوله يتبع المذهب الشيوعي، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولكن غر الناس، أنه سمح لهم بالصلاة، فكان الخطأ القاتل أمام الشهوة الجامحة لـ(بريجنيف) رئيس الاتحاد السوفييتي من أجل أخذ البترول وضرب أوروبا وأمريكا، الضربة القاضية بقطع حياتهم بأخذ البترول، دفعوا إلى الهجوم -كما ذكرنا في ٧٩م-، فرأى الناسُ والعوامُّ الجنودَ الحمر الروس، فأيقنوا أنه احتلال، وأيقنوا أنه كفر.

---

[٢] رواه البخاري وأبو داود وأحمد.

[٣] رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

فقام هذا الشعب المسلم الأبي المصابر المرابط، الذي حمل كثيرًا من الصفات التي غابت عن الناس هناك، من خوفهم وقلة توكلهم على الله سبحانه وتعالى في بلاد العرب وغيرهم بلاد الإسلام، قاموا احتسابًا لله سبحانه وتعالى بقتال الكفر، واستجابوا لفتاوى العلماء، وكان ممن أفتى لذلك كبار علماء أفغانستان؛ وكان منهم الشيخ يونس خالص بارك الله في عمره، والشيخ جلال الدين حقاني نرجو الله سبحانه وتعالى أن يبارك فيهم ويقبل منهم جميعًا.

فانتفضت أفغانستان من شرقها إلى غربها، ومن شمالها إلى جنوبها، الجهاد المقدس، الجهاد المسلح المبارك ضد الكفر، وأصبحت العشائر والقبائل تفرح وتدَّخر أولادها الذين يقتلون في سبيل الله، ويسجلون تاريخهم بأن قتل لهم؛ فلان وفلان وفلان واستمر القتال؛ في حين كان العالم بأسره -كما ذكرت- يكتم أنفاسه، عندما ظهر (كارتر) قال وهو في حالة ضعف في عشرين يناير عام ١٩٨٠، انتبهوا لهذا الكلام: (إن الولايات المتحدة الأمريكية لن تسمح للاتحاد السوفييتي، بأن يدخل منطقة الخليج)، هم يتنافسون على أموالنا وعلى أراضينا وعلى بحارنا، قال: (لن يسمح لهم بأن يدخلوا منطقة الخليج، وسوف تستخدم الولايات المتحدة الأمريكية القوة العسكرية إذا لزم الأمر)، حقيقة هذا التهديد كان تهديدًا أجوفًا؛ لم يكن هناك في المنطقة قوة تسمح بهذا التحرك، خاصة بعد سقوط الشاه، ورحيله ومن معه سواء قتل أو هرب، والمنطقة كلها كانت تسير في فلك الاتحاد السوفييتي، فكان تهديدًا أجوفًا، ولولا فضل الله ثم الأفغان، لكان دول الخليج قد ذهبت، هذه الأسر المتسلطة الحاكمة على الناس بغير حق، تحكم بغير ما أنزل الله، وكان حال الجزيرة يمكن أن يكون كحال اليمن الجنوبي في تلك الأحوال، ولكن الحمد لله الذي أمرنا بالجهاد ووفقنا لصد العدوان عن ديننا.

اجتمع الجيش الباكستاني بعد دخول الروس مباشرة؛ لأنه معني بدرجة كبرى بعد سقوط أفغانستان.



[يشرح بالخريطة]

هذه باكستان، وهذه أفغانستان، وهذا الاتحاد السوفييتي، وهذا العملاق الهندي (أرضًا، ومساحة وقوة، واقتصادًا، وجيشًا) قاتلهم الله، فأفغانستان وقعت بين كفي كماشة؛ هناك حلف بين نيودلهي وبين موسكو، بين الهند وروسيا، فباكستان ستؤكل قطعًا لا محالة، فاجتمع الجيش الباكستاني وقيادات الأركان، ليبحثوا السبيل للخروج من هذه الكارثة المحققة، فكان ما دار في ذلك المجلس عن ضرورة الاستعداد، وكم معهم من الوقت لحجب طاقاتهم ضد الاتحاد السوفييتي والهند، هم لوحدهم لا يستطيعون على الهند، كيف إذا جاءهم من الخلف هذا العملاق الدب الروسي! فقال قائلهم: إن الأفغان وأفغانستان لن تتحمل أمام الاتحاد السوفييتي أكثر من أسبوع وتسقط، كما سقطت رومانيا والمجر وغيرها، وأحسنهم تفاؤلاً قال: يمكن أن يقاوم الأفغان لمدة شهرين، وبقي العالم لا يحرك ساكنًا، ودول الخليج ما تكلمت بكلمة؛ وهي تعلم أنها المقصودة.

وأقول -بفضل الله ولا فخر-: سمعت الأخبار في الراديو، أن الاتحاد السوفييتي دخل أفغانستان، فجئت سرًا عام ١٣٩٩ لنصرة المجاهدين، خوفًا من حكومة السعودية ومن

دول المنطقة؛ لأنهم ما تكلموا بأي كلمة تشجب أو تهدد بهذا الاحتلال السافر، من شدة خوفهم.

بعد مرور شهرين، في تلك الأثناء أرسلوا ناسًا إلى داخل أفغانستان، فرأوا معنويات عالية جدًا جدًا عند الأفغان، فقراء، ضعفاء، حفاة، عالة، ولكن يقينهم بالله واعتمادهم على الله سبحانه وتعالى، معهم بقية البنادق التي قاتلوا فيها الإمبراطورية البريطانية؛ بنادق قديمة من القرن الماضي، وكان الواحد منهم يبيع قطيع الغنم ليشتري ذخيرة لهذه الأسلحة القديمة، وواصلوا.

لما رأت الدول أن الشعب الأفغاني عنده همة قوية لمواصلة الجهاد، اتخذت أوروبا وأمريكا وعملاؤها وحلفاؤها قرارًا بدعم الأفغان ومقاومة الاتحاد السوفييتي، وبدأوا يتبسمون، وبدأوا يستنشقون استنشاق الراحة عندما علموا بهذه الأخبار، فبعد الحرب بشهرين، عندما أشارت من أشارت إلى عملائها في المنطقة، قام الإعلام في دول الخليج وفي غيره على مدار الساعة على مدار النشرات في اليوم ٥ مرات في إذاعة السعودية، تتحدث في كل نشرة عن المجاهدين وعن بطولاتهم وعن تحطيمهم لبعض الدبابات وعن انتصاراتهم، وفتحت في مشارق بلاد الحرمين ومغاربها الهيئات الإغاثية لجمع التبرعات من الناس، وصدرت الأوامر بكل المؤسسات بأن تؤيد هذا الحدث، بما فيها المؤسسات الشرعية. وصدرت الفتاوى بأن الجهاد في أفغانستان فرض عين -وهو كما قالوا-، ولكن جاءت الفتوى بعد إذن ولي الأمر (الصورة)؛ الذي جاءه الإذن من ولي الأمر (الحقيقي) من أمريكا، وصدرت التعليمات في الخطوط السعودية بأن تخفض للشباب الذين يريدون أن يجاهد ٧٥% من قيمة التذكرة؛ كنا ندفع فقط ٢٥% من قيمة التذكرة، من شدة خوف أمريكا ودول الخليج وأوروبا من هذا العملاق المارد الدب الروسي؛ لم يروا أي شيء، لم يروا الخطورة المترتبة على اشتعال جذوة الجهاد في الأمة من جديد، هم الآن همهم الأكبر أن يوقف هذا الدب الروسي المتوحش الذي يكاد أن يكتسح العالم، ففي خضم هذا الخوف والجزع، وبداية النشوة أنه يمكن أن يوقف هذا

الدب الروسي، فتحت بل كسرت الأبواب أمامنا وجئنا بفضل الله سبحانه وتعالى، بعد ضغط وكبت من القوى الكبرى، حالت دون بروز أي قيادة صادقة للأمة لانتشالها من سفوح المذلة ومن سفوح المهانة والخور والتخلف والجهد والمرض وكل ما شئت، فجاءت هذه الفرصة العظيمة، ولكن أقول: للأسف، لم يتحرك الكبار لأداء الواجب، وإنما تحرك الشباب طلاب الثانوية، تحركوا خفافًا لنصرة لا إله إلا الله، وما تحرك من الكبار قط إلا الشيخ عبد الله عزام عليه رحمة الله، فالمسلمون عيال في الجهاد المعاصر على الأفغان، والعرب عيال في العصر المعاصر على الشيخ عبد الله عزام عليه رحمة الله، وجزاه الله خير ما جزى عالما عن أمته، ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبله وابنيه في الشهداء.

فما كادت الحرب تضع أوزارها، وانكسر الاتحاد السوفييتي، إلا وانتبه الأمريكان وعملاؤهم على هذه الجذوة المباركة، وعلى أثر الجهاد في الأمة؛ فبدأوا بتصفيات الرموز التي ظهرت، وللأسف، كانت هذه الفرصة عظيمة، وهذا الميدان كان كافياً لإرواء هذه الأمة العطشى من الرموز ومن القيادات لقيادتها، فمهما بلغت قوة الأمة من الأعداد والإمكانيات والسلاح، إذا افتقدت ناظم العقد، وإذا افتقدت القيادة، فتبقى هذه اللبنات لا يبنى بها شيء، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فكان اغتيال الشيخ عبد الله -عليه رحمة الله-، وكانت هناك محاولات كثيرة لاغتيال العبد الفقير، ولتعذيبه، ولتشويهه، ولكن بفضل الله سبحانه وتعالى منّ الله علينا أن نحمل الراية من بعد الشيخ عبد الله عزام -عليه رحمة الله-، ونرجو الله أن يعيننا على أن نسلمها لكم ولمن يأتي من إخوانكم، وتسلمونها أنتم لمن يأتي من بعدكم؛ لتبقى راية (لا إله إلا الله) عالية خفاقة بفضله سبحانه وتعالى.

وبعد معارك طويلة قدم فيها الأفغان ما قد علمتم، وتم الاستنزاف الهائل لمقدرات الاتحاد السوفييتي، واعترفوا بعد الحرب بدفع أكثر من سبعين مليار دولار على حربهم في أفغانستان، فبين يدي معركة جاجي، اتخذ رئيس الاتحاد السوفييتي -في ذلك الوقت، في

أواخر المعارك- (غورباتشوف)، وكان قد هلك (بريجنيف) وجاء بعده من جاء وهلك، إلى أن جاء (غورباتشوف)، فاتخذ قرارًا بضرورة الانسحاب من أفغانستان، كان الناس -والله يا إخواني- عامة المسلمين وخاصة المسلمين لا يصدقون أنه يمكن للأفغان أن يقفوا أمام الاتحاد السوفييتي، من شدة الرعب والإرجاف الذي بث في الأمة؛ إلى درجة أن هذا الرعب أصاب الخيار إلى النخاع، فلما أردنا أن نخرج إلى أفغانستان، والله مشايخنا كانوا يثنوننا شفقة علينا، يقولون: لا يمكن أن يقاوم الروس، حديث يطول، ولكن أيضاً لما بدأت بوادر من الاحتلال السوفييتي يمكن أن ينسحب، ما صدق أحد أنه سينسحب من شدة الوهم الذي في عقولهم، وكان الناس يظنون أنها خدعة، يريد أن يخادع المجاهدين، وكان بعض الناس يتهموننا بصريح العبارة، يقولون: أنتم مجانين! تريدون أن تقاتلوا روسيا؟! بل أمراء دول الخليج كانوا يتكلمون بهذا الكلام مع قيادات الجهاد.

فلما خرجت الأخبار أنه يمكن روسيا أن تنسحب ما صدق الناس، وقالوا: هذه خدعة، وكان بعض الصالحين يقولون: إن روسيا لها مصلحة في إطالة الحرب في أفغانستان، وإنها لو أرادت أن تحسم الحرب لحسمتها في أربع وعشرين ساعة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلى الله المشتكى، من شدة الوهن الذي أصاب الأمة.

فلما قرر (جورباتشوف) الخروج، وهذا الكلام هو المدخل لهذه المعركة العظيمة الحاسمة الفاصلة التي حسمت آلاف المعارك بين الحق والباطل، وحُسمت بها المعركة الطويلة، فحصل اجتماع الحزب الشيوعي بوزارة الدفاع في الاتحاد السوفييتي، وقالوا لـ(جورباتشوف): (إن انسحابنا من أفغانستان هو أكبر وصمة عار في جبين الشيوعية العالمية، وفي جبين الاتحاد السوفييتي، وفي جبين وزارة الدفاع الروسية، فلا بد أن تتراجع عن هذا القرار)، قال لهم: (الأمر أكبر من ذلك؛ ليس عندنا في خزانة الاتحاد السوفييتي ما أدفع لأبنائكم لشراء الحليب)، الحرب في أفغانستان استنزفت الاتحاد السوفييتي، ويسر الله سبحانه وتعالى عوامل أخرى في طيات الاتحاد السوفييتي وفي طيات هذه المبادئ

الهدامة، أدت أيضًا إلى تهاويها بفضله سبحانه وتعالى، وجاءت هذه ثالثة الأثافي، فقصمت ظهرهم بفضل الله سبحانه وتعالى.

دخلوا في ديسمبر ٧٩، وخرجوا في ١٥ فبراير ٨٩، عشر سنوات دخلوا في أفغانستان، وبفضل الله في العالم أجمع في نفس الأسبوع في أشهرهم الشمسية، هم دخلوا في آخر أسبوع من ديسمبر ١٩٧٩، أخذ العلم الخاص للاتحاد السوفييتي في عام ١٩٨٩ من فوق جميع السفارات في كل العالم، علم الاتحاد السوفييتي أخذ في ديسمبر في ٢٥ ديسمبر، في نفس الأسبوع الذي دخلوا فيه بعد بضع سنين، ورُمي بفضل الله في سلة المهملات، ورفع بدلاً عنه علم روسيا، بعد أن أصبح الاتحاد السوفييتي أثرًا بعد عين، وتمزق الاتحاد السوفييتي، وخرجت عليه أكثر من ١٥ دولة، خرجت من تحت الاحتلال السوفييتي، فضلاً عن الدول الشيوعية كألمانيا الشرقية ورومانيا والمجر وتشيكوسلوفاكيا وغيرها من دول أوروبا الشرقية، وهؤلاء أرسلوا وفودًا التقت مع (جورباتشوف) وطالبوه بقوة أن يتراجع عن قرار الانسحاب من أفغانستان، وقالوا له: (إن مجرد الإعلان هذا، هز الأرض من تحت أقدامنا، وإن الاستخبارات عندنا، قد رفعت تقارير أن الناس يتحدثون: إذا كان هؤلاء العراة، الحفاة، العالة، المساكين، الفقراء قد هزموا روسيا فنحن أولى وأقدر على هزيمتهم).

فقالوا له: (إنك إذا لم تتراجع عن قرار الانسحاب سوف تخسر ألمانيا الشرقية ورومانيا والمجر وكل الدول الشيوعية في العالم)، قال: (إني أعلم ذلك ولكن ليس عندي قدرة لمواصلة القتال)، فلله الحمد والمنة.

فبعد ضغوط وزارة الدفاع الشديدة، قدم وزير الدفاع خطة وطالب رئيس الكرملين (رئيس الاتحاد السوفييتي) بأن يأخذ ميزانية خاصة من خارج ميزانية وزارة الدفاع، ويعتمد لهم هذه الميزانية ووعدوه ودخلوا في تحدٍّ، قالوا: (إن الأفغان قد بلغوا من الجهد والتعب الشيء الكثير وبدأت المقاومة تضعف)، وهذا حق، وجاءت هذه الدماء الطازجة الطرية الشابة من بلاد العرب في الوقت المناسب، بفضل الله سبحانه

وتعالى ثبتت من بقي من المجاهدين، فكان المجاهد وقد ذهبت أرضه، وهدم بيته، وقتل من قتل من أسرته وتشرد في الخيام، يرى بعض الناس قد ذهبوا من أبناء أفغانستان يتوظفون في بلاد الحرمين، بمرتبات تعتبر مغرية لهؤلاء، فبدأ الشيطان يوسوس لهم أن يذهبوا هناك حيث المال وحيث الحرمين وحيث الراحة وهدوء الأعصاب ويحمل أسرته هذه التي قلب لها حكام الخليج ظهر المِجَنّ، فإذا به يجده يسعى لكي يأخذ إقامة في دول الخليج، برغم الإهانات التي تصب على رؤوسهم من الذين لا يفقهون أخوَّة الإسلام، وإذا به يجد أبناء دول الخليج، كابرًا عن كابر بجنسياتهم وجوازاتهم يتركون الدنيا وما فيها، يتزاحمون على الخنادق تحت ظلال السيوف؛ لأن رسول الله ﷺ قد بشرهم ووعدهم، وهم يصدقون تصديق يقين ما يقول به عليه الصلاة والسلام، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ"[٤]. فلما رأوا المترفين المنعمين تركوا كل شيء، وجاؤوا إلى خنادق الجهاد، طرد هذا الفعل وساوس الشيطان من رؤوسهم، ومكثوا وتعاونوا وإياهم حتى فتح الله على الإسلام وأهله، وخرج الروس.

وأكتفي بهذا القدر من التهيئة ومن المدخل إلى معركة جاجي الشهيرة وإن شاء الله نكمل بلقاء آخر، وصلى الله وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

[٤] رواه البخاري ومسلم.

لا تنسونا من دعائكم

